

عبد الهادي السعيد

جائزة اتحاد كتّاب المغرب الأحرار للشباب

عبد الهادي السعيد



تفاصيل السراب

شعر

عبد الهادي السعيد

تفاصيل السراب

شعر

تم تحميل هذا الكتاب من موقع اتحاد كتاب الموقع

www.unecma.net

وُضع على الخط يوم 18 مارس 2006

عبد الهادي السعيد

منشورات اتحاد كتاب المغرب

الإيداع القانوني 1997/07

مطبعة المعارف الجديدة - الرباط

1417 هـ 1997 م

الطبعة الأولى

طبع هذا الكتاب بمساهمة مؤسسة الرعاية لبنك الوفاء

تصميم الغلاف الفنان حسّان بورقية

تقديم

هذا الكتاب ليس دغما. إنه يحاور ذاته
من داخله وهمّه أن يتخيّل نفسه شيئا
آخر مختلفا في كل بيت جديد.
لا أبحث فيه عن شيء، ولا حتى
عن نفسي، ولعلي أجدها حين أنسى
البحث.
ما كل ذلك إلا كي أقدر أن أقول: ليس
كتابا هو.

عبد الهادي السعيد

الشاعر شخص أعمى، لكنه يرى

Le poète est un aveugle qui a ceci de particulier
qu'il voit.

عبد الهادي السعيد

ها أنذا

من جديد

أشهد احتراق السماء

في كفي

ولا أقوى

على مباغثة الجمر

فأسكب

كبقايا الوقود

دقائق

تضاهي الشتات !

محاورة الكلام

عبد الهادي السعيد

شمسٌ بهاءٌ سوادٌ

ضَعِينِي فِي جَفْنِ الْكَابَةِ
وَلَا تَهْزِي أَيَّ نَخْلٍ
دَوْمًا أَتَوْقُ
لِلتَّلْفِ الدَّامِسِ
وَتَكْفِينِي عَادَةً
هَنِيهَةً
أَضَاجِعُ فِيهَا شُمُوسًا لَا تُرَى
كَيِّ الْأَمْسِ الدَّهْشَةَ
أَكْتَنَزَ الْفِضَّةَ
أَعْنِي:
سَوَادَ الْيَوْمِ الْجَدِيدِ!

عبد الهادي السعيد

ليل في الكلام

أحتاجُ للنسيان كي أتذكرَ.
سوفَ تحلمُ الجملةُ بي
وأنا على حافةِ الصمتِ.

سُيِّملي عليّ الليلُ قصيدتهُ،
لنْ أهيمُ،
لنْ أبعثِرَ روعي،
لكِنِّي سأمنحُ طَبْلتي للوردِ
وحتى أفسرَ ما لا يُفسرُ
سأرفعُ عيني مراراً جهةَ الشوكِ
مُستفسراً:
هل أنتَ لصّ
جئتَ تسرقَ المعنى؟

عبد الهادي السعيد

أم تُراك صديق؟

إذن أثبت حبك!

هكذا يُراودني البياضُ

فلا أهوي

إلا والزيفُ قد زالَ عن الغزالِ مُندحراً،

وعني زال..

فأشمُّ ورقي

طيباً

كما الخبزِ في الفجر!

قافية الماء

أَمِيلُ إِلَيْكَ مَيْلِي لِلْيَلِكِ. كَثِيرًا أَمِيلُ إِلَيْكَ. أَمِيلُ
حَتَّى أَهْرَقَ بَيْنَ يَدَيْكَ. بَلِّلِنِي بِدُجَاكَ، بِأَسْمَاءِ
الطَّيْرِ فِي صَوْتِكَ، بِبِكَائِكَ فَرِحًا يَوْمَ الْعِيدِ. مِرَارًا
رَنَوْتُ لِلْأَرْضِ. أَغْرَقِي بَحْرِي كَيْ أَدْرِكَ الْهَوْلَ.
نَائِيَاتُ سِرَادِي. جُودِي بِي عَلَيَّ أَنْزِلْ إِلَيْكَ.
ابْتَسِمِي أَتَّهَمُكَ بِالْجَمَالِ. أَمَا مِنْ يَدٍ لَتَزْرَعُ بَيْنَنَا
الْقُبَلَ وَالْكَلِمَاتُ؟ سَاجِيءٌ مِنْ الْحِكَايَاتِ لِأَنَّ لِي
فِي قَلْبِ الْوَقْتِ نَبْضًا يُشْبِهُكَ. أَمِيلُ إِلَيْكَ، أَمِيلُ
إِلَيْكَ.

عبد الهادي السعيد

برداً وسلاماً أيها الفينيقي

جُرْحٌ تُسأَلُهُ الكائناتُ:

أفبك شيءٌ نَمضي إليه

بعد الحلم وهذا العمر؟

تُجيبُ المسافةُ:

لو أني بلا إسم،

لو أن يدي مزقتها النوارسُ،

لو أن القبطَ اختلستُ دمي،

لو أن قلبي

لم يلدَ سبعَ نساءٍ،

لو أني مرةً

ما أحصيتُ شاماتِ البحرِ،

لو كان للرمادِ

بيتٌ قربَ بيتي،

عبد الهادي السعيد

لو أن الكلامَ هاجرَ،
وسافرَ الوقتُ،
وجفَّ هذا الليلُ!

لو أن امرأةً
أتلقتُ بشعرها جسدَ الماءِ

لو أن هواءَ الأجواءِ صارَ مخصياً،
لو أن التتارَ
أتوا على قريتي،
لو أن دمي بخرتهُ الريحُ،
لو أن الكهنةَ اغتصبوا شعراً نامَ في صدري،

لو أن طفولتي أحرقتُ حدائقَ التفاحِ،
لو أن عقلي صارَ عُشّاً لأجنحةِ الطيشِ،
لو أن أبي قتلَ أولادهُ،

لو أن امرأةً
ماتَ شاعرُها الوحيدُ،
لو أن سُعاةَ البريدِ سقطوا في النهرِ،
لو أن الأيامَ جُنَّتْ،
وجيوبَ الزمانِ تمزقتْ،
وضاعتْ مفاتيحُ المكانِ!
لو أن ملاكَ الحبِّ استقالَ،
ودُفِنَ العطرُ،

عبد الهادي السعيد

وماتَ الوردُ،
وشُيِّعتْ جنازةُ الإنسانِ
لو أن شيئاً من هذا أتتْ به الريحُ..
هَبَّ الشَّعْرُ
أو سقطَ زُلْلاً!

أغنية البحر

وَكَانَ الْبَحْرُ صَخْرًا..

كَانَتْ تَلْسَعُنَا الْكَائِنَاتُ

وَكَنتُ أَحمقَ

فَوْقَ سَطْحِ الْغِنَاءِ!

جَاءَتْ مَوْجَةٌ

بِأفكارَ عَنِ النِّسَاءِ

وَكَيفَ يُجَلِّسُنَ الْجَمَالَ فِي ضِحْكَاتِهِنَّ! ..

فَتَاةٌ تَكْتُبُ الشَّعْرَ صَامِتَةً

كَفِ تَشْيِيرِ إِلَى الْحَلْمِ

عبد الهادي السعيد

شاعر يرى في فمها امرأةً
ويهرول خائفاً من سعادته

وقت يسامر الموجَ
لينسى البحر أحزان الغارقين
ولتسعد أمُّ
بعودة ابنها لأشيائه كل يوم!

حاولت استدراج الماء.
تكلس. غضبت وطارت قدمائي،
ثم وقعت على مؤخرة الحلم.
نزفت ظلال يدي
وظننت لحظةً
أني أصغي للفراغ!

آنذاكُ

خرجت من ضلعِ الماءِ نوتةَ البياضِ

واستقلّ النشيدُ

عربات الحمام!

عبد الهادي السعيد

الأفول

عبد الهادي السعيد

الأفول

قابعا في غيابة الوقتِ
ها أنت يا أنا
تنعي هاجسك الأخرقَ
تقص رؤياك على حصي الجبِّ،
حلما بلا قمرٍ،
صوتا بلا ذكرى:
لاهتٌ صدك لا يعلو إلى السطح،
مضى زمنٌ

ولا وارد أدلى دلوهُ
ولا وارد صاح يا بشرى!

عبد الهادي السعيد

تقولُ:

أنا ابن السبع الخضرِ،

عما قريبُ،

ستلفظ الأرض أحشاءها،

سينكسر الزمان الدائريُّ (*)

فأعدي يَتها الأذن ريجك،

و ارتفعي أعلى

إلى السماء!

تقولُ..

ثم يهيم في جهاتِ المزنِ

ضوء من أناملك،

(*) شكرا لدرويش

و حين تنادي الغيمة الجبلى
همم الحقول،
حين تلتفت السواقي
و ترتعش السهول،
تستصرخ الأرض أرجاءها،
و البلاد أبناءها،
تصيح الكائنات:
قد ترجل العالم عن صمته
فيا حلماً
عجنته أيامنا بالدم والغبار
كن ما شئت
و امض إلى تخوم القول
ثم عد

عبد الهادي السعيد

مضرجا بغرايتك،
أو بيداھتك،
فھذا الألم المشعُ
قد لاح من شجر العمرِ
وتلك الجراح الثكلى
قد زوبعھا الكلام على براريه،
ثم صاح:

أنا غدكم
فأھيلوا التراب
على أشباح المنى،
الوقت حان أن تنبسطوا

كي يستريح الليلُ
و أنتم
و الياب!

و تسير المفردات..
لا وجه لهذا الكلام!
على قدر فوضاه تسير..

تعمى يبللها السرابُ
تسقط مستضعفةً
بين مخالف الوهم:
مزقٌ هي الكلماتُ

عبد الهادي السعيد

هل ضاق المايين بالشعراء؟
أم أنه النكران شل ثوالثهم؟
هي المدينة
لا خراب ولا عمار
تتخبط في نفسها،
لا تطرد،
لا تحنفي،
فقط تعشق ريحها
و أنا بقية من عماء،
أتحسس وحدي
بريق هذا السواد!

ثنائية العراء

تغيرني الشوارعُ
أمشي
ويرميني زقاقُ
إلى الهاجس الآدميِّ

تغيرني
حشرجات الوقتِ
أرى أمسي
إذ يسيلُ
أرق لمفردة الجدِّ

عبد الهادي السعيد

أبصر ما مضى من الأيام
وأقضم من عمري الدقائقَ

الغامضه

من ذا ينسى
أساطير الغد؟
من ذا يصمت؟

كي أستخذل في يدي الكون الزاحفَ
وأسترق السمعَ
للحظة الوامضه

و أنا أنزل من رابيةٍ
الحلمِ
إلى زمن العراءِ
تودعني السحائبُ
أشم رائحة العقمِ
و لا تدرني السماءُ

و حتى أخطَّ
في الساحة الجرداءُ
أمر في خلوة اليأسِ
إن كانت إلا رمقةً
واحد

عبد الهادي السعيد

فإذا بي أهبطُ
ولا تمبُطُ
المائده
قد مات أمامي البراقُ
لكني
لا أتغيرُ...
ليَ الصفر يداعبي
ليَ

أيامي الباردة!

دليل الجلاء

أمام الجلاء،
لا يذكر عرقٌ
طلما عصرت دمي
كي يتزل فيه ماء الروح

عبد الهادي السعيد

لا الوعود التي
أثارها التفاتة الضوء،
ولا حتى الطلائع
من هبة سماوية
كان الليل يهيء تفاصيلها
بتفان حثيث...

إنسَ ما شئتَ خذِ البحرَ بعيداً و لا تبرحِ
الجدعَ الجلاءُ قدرٌ حتى عليكَ فلمَ تنسى
الآنَ ما شئتَ لكَ لِمَ لِمَ هلِ الموجُ يُنسيني أنا
و لا يُنسينيكَ تعالَ عرقُ أنتَ عرقي كُنتَ
تعالَ كنْ لي كما كنتَ التَّثاؤبُ يسكنُ الزورقَ
الدالياتُ لا تنمو في البحرِ أدري ثم لا

أدري ما أريدُ سوى أني أريدك أنتَ أنتَ معي من
الشمسِ إلى الصّقيعِ انسَ ما شئتَ لا لا تنسَ ما
شئتَ لكَ و لي أنتَ كنتَ سافرُغُ البحرَ فأتِ
نعمَ وأبني الزهرَ ثم أرنو للأفقِ و لا أنتظرُ العبيرَ إلا
منكَ يجيء!

تكلّى في تعاريجِ الزمانِ الرعايبُ برملِ
الغوتِ تلهو و هي وحيدةُ هذا الظلِّ غابَ غصنُ
التيهِ و حتى القاربُ هل في البحرِ شفاءُ
الأميراتِ أدنُ أدنُ صدَى الموجِ في الليلِ
مزمارةٌ وحشةٌ سوداءَ من يُعيدَ النهارَ إلى
فجره الأفلُ أنتَ غدُ صحراءُ هذا

عبد الهادي السعيد

اليَمِّ لَيْلَةٌ دَلْمَاءُ آهٍ آهِ مِنْ الْأَحْوَرِ أَدْنُ عُدٍّ ثُمَّ عُدٌّ
فَادْنُ لِلضَّوِّءِ مَدِينٌ أَنْتَ مَلَأَ النُّورِ عُدَّ مَدِينٌ أَنْتَ
لِلنُّورِ مَلَأَ مَا فِيكَ بَعْدُ مِنْكَ وَمِنْ رَعِشَةِ
الْأَشْجَارِ!

«(..) وفجأة تراءت لي الذكرى..».
بروست، من جهة سوان

حشرات الزمن الشريد

عبد الهادي السعيد

غيش الذاكرة

«(..) وكل كمبراي وضواحيه، كل

- مدينة وحدائق

- قد خرج من كوب الشاي.»

بروست، من جهة بيت سوان

بيت سوان

أصافحُ البحرَ وأبقى صامتاً.

للروح مواقيتها وعاداتها.

أرسل ذاكرتي لتبتلّ. تعود فأوزعها

بين أزقة العمر.

عبد الهادي السعيد

حليب الشمس يستدرجني إلى جهات الحلم،
وأنا أصدق كي لا أنام
في هدير الموج وفي سكون الرمل
هكذا

بين الصحو وبين الدهول
أتسلق الأطراف والأعضاء
فأسمعها تقول:

أوضح يا بحر! هذه الفتاة
لا تشبه نفسها. وأنت يا بحر أخضر
هي البحر حين تراك.
و يا بحر أفصح! من أنت حين أراك؟

أعمقُ منكَ أنتَ. ومن تكونُ
 حينَ تلسعني شرارةُ
 الوردِ إذ تسرقها من أنوثتكِ
 امرأةُ
 اشتهي غموضَ طفولتها؟

وأنتَ بداخلي كالبحرِ تكبرُ.
 نمتُ في ظلِ رموشك. نساءُ
 في البحرِ يرتدين جمالهنَّ!
 هي الأسماءُ
 تشعُّ أو ترنُّ
 ينسجُ الحلمُ حولَ الإسمِ داليةً،
 ثم يسكرني السرابُ!

عبد الهادي السعيد

و أنا أسافر في عمري،
أبتلّ في الأسماء على عجلٍ
أزيح القشّ عن شاي منزلنا القديم
و أوارى بمكر ضجري
و أنا أحاور خالتي البطيئة.
سيخرج من كوب الذكرى مُدُنْ،
حدائقٌ ستخرجُ،
و أناس سيخرجون في بساطتهم
و غداة أعود من شغفي،
أرى رابية تتشكلُ،
صباحات تزدحم في صف العمر المائلِ:
ها إن الزمان يعلقني
فوق مرايايَ الجمّة المتعاقبات!

حياة الظهيرة

تختار الظهيرةُ اسمها
وسطَ متاهاتِ الريحِ.
تسافر كالجُنُونِ نحو الليلِ.

تُهيمُ. تتعثرُ..
تصمتُ أو تهذي،
ها هي تديعُ..
أو تُجاري السكينةَ ..

عبد الهادي السعيد

هكذا الظهيرة
تنوء بالأصداءُ
تمرول في وقتِ الغرباءُ
أو تتلكأ زمناً
على باب المدينة!

الظهيرةُ تلقي سرّها
في الأزقة والدروب.
يائسةً،
تندسُ في الغرف الحزينه،
أو حاملةً تطلُّ
من ثقبِ لحظة جنينه

و حين تشيخ الظهيرة
تمر بعكازها في كسلي العذب
توقظني..
تسلمني مفاتيح الليل،
و أضواء السريره!

عبد الهادي السعيد

كلام غائم

عبد الهادي السعيد

تلهفات التامري

عيدا في درج المساء كأنها الهيلمان!
دَعْ أَلَيْفِي،
والصفَّ القبسيَّ،
لِدُ تُرْجَمَانًا
يهوى الصّمتَ في المآدبات!

وَدَّتْ
لو كان المدخلُ السّاطعُ
برمته
خُلِدَ الكَسْتَنَاءُ
في الظّفائرِ
وَطَوَّلًا غَفَرَتْ
للإبريقِ النازحِ

عبد الهادي السعيد

متواليات العذاب!

لغزاً لغزاً
فكّت مباحجها...

ما ضحك التامريُّ
بل بكى

عنفوان جزيرة
كانت تخيط الحكمة
حول أعناق الحمام!

كجُرم ملاك

سقوطُ السّائرِ
عن جنوبِ الفضةِ
في سرايا المحارِ!
يا البُلْعَيْسِ!
أيُّ لغزٍ؟

عَيْدًا وَوَدَّتْ...

عبد الهادي السعيد

وصايا

لا وقت للصباح ذلك الموتُ أعرِفُ مرَّةً يحيا بدمِ
 الفرشاة. أجلسُ بعضي ينتظرُ الدُّوارَ بينما ذهبتُ
 أوَّلَ الاعترافِ أقصدُ بيتَ الكاهنة. مرصدُ
 الشَّاماتِ قرارُ الفضة. أنتِ من صُبغتِ الطَّرقُ بماءِ
 الزَّهرِ المتحوِّلِ في رُكبِكَ. هلْ يظهرُ القمرُ على
 هذا العلوِّ؟ افتحي أوديَّةَ التَّسيانِ هشيمًا سرُّ ذلك
 اليومِ راح. أطفئي الأنوارَ ستقفزُ من أعلى
 الضَّحَرِ. دونا عن دُعاةِ الإصطبلِ في مايِ الأخيرِ،
 دوَّني ألوانَ العَدِ: هو ذاك أميلُ الطَّيفِ إلى جدائلِ
 الصَّفوةِ في الوادي العميقِ.

إيه، ربَّ عامٍ تُلدهُ مؤخرتهُ كلما أتاه ديكُ ألفِ السنينِ
 العجافِ. أطبقُ جفنيكَ سيأتي الحلمُ محمولاً

عبد الهادي السعيد

فَوْقَ شَارَاتِ الْهُتَافِ الْأَخْرَسِ. غَيْرَ مَحْلُومٍ بِهِ
سَيَّأْتِي كَيْ تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ يُلْفَفُ الشَّرَّائِينَ
اسْتِعْدَادًا لِحَسَاءِ الْفَجْرِ رَيْنِ مَا يَنْبِفُ عَلَى سَاعَةٍ
مِنَ الضَّحِكِ. حَضَرَ عَمَّالُ ضَرْبِ نَشِيطٍ مِنْ
ضُرُوبِ التَّأْوِهِ كَيْمَا تَنْفِذَ الْمُشَاكَسَةَ إِلَى عُيُونِ
مَالِكَةِ الْمَرْجِ الْمُسْتَحِيلِ. هُنَاكَ أَلْوَانُ الشَّقَقِ الْأَرْبَعَةِ،
وَتِلَامِذَةُ يَدْرُسُونَ التَّنْجِيمَ فِي قَعْرِ الْمَاءِ. وَحَدَّهَا
الْحَبَّاتُ الرَّمَادِيَّةُ لَا تَهْزَأُ مِنْ تَلْعَمِ الْعَائِبِينَ عَنِ
الْفَصْلِ. كُنْ دَائِمًا هُنَا. هُنَا وَاضْبِطْ مِينَاءَكَ عَلَى
أَحْسَنِ رَصِيفٍ فِي مَزَادِ التَّدْفُقاتِ الزَّرْقَاءِ.
هُوَ ذَاكَ: مَصِيرُ الْأَخْدُودِ.
رُطْبًا سَأَنْسَكِبُ مَعَ الْأَصِيلِ!

«فرايتُ ما [فقط] ظن الإنسان أنه رآه»

«قدم الريح»، رامبو

عبد الهادي السعيد

تداعيات يوم مشكول

1. موجز

- الضم
يحملني الصبح بين يديه كمولود جديد.
- الفتح أو الجر
في منتصف العمر قد أضطر لاستعمال أنواع
من المظلات لدرء حر غير مرغوب فيه.
- السكون
عند حلول الغروب، يتنكر حزني في لثام
الفرضية التالية:
في ليلي قد تشرق ابتسامة شعر قديم، أما أنا،
فما ألبث أن أنام.

عبد الهادي السعيد

2. التدايعيات

• في الحافلة التقيت بقطعة طريق وطوال المسار لم تكن تلغي إلا برغبتها في الرحيل حتى إن أحدهم أشفق حد البكاء على أرجل التائهين والمغرر بهم.

• بالرغم من وجود صديقاتها التائبات لم يستطع أي إقناعها بالعودة وهكذا ظلت أقدام المارة دون مسند ولما كان التذبذب سيد الموقف آثرت التزول عند أول محطة ولم أنتظر نهاية المطاف.

• تلقفتني مع الهبوط حديقة متحركة يدور فيها الماء بشكل شائك كأنه مبرهنة يخشى الناس استجواب الدلائل حولها شأنهم في ذلك شأن من لا رغبة له في قضم الجوز الطري.

• قد يكون للمقاعد العمومية هموم قرفصائية من نوع أو آخر غير أنها نادرا ما تعبر اهتماما لمزاج الآدميين الواجمين فوقها ولذلك فهي أبدا لا تغير من هيأتهما بحسب اختلاف تفاصيل التعلب في وجوههم المبلطة.

• لا تعي فتاة عندما تحترق السماء في كفها أن نواقيس التدحرج قد دقت فتظل تحلم وفي هواجسها البلهاء ما يكفي لجعل الموانئ كل الموانئ عائمة تجوز البحر.

• هل كان آدم أنجليزيا؟ أقصد هل التفاح اثنان والسقوط واحد؟

عبد الهادي السعيد

سيظل الناس منهمكين غير بعيد عن الشيطان في
حساب الثوابت العالمية.

• يدرس عالم أزرق الحاجين غابات من الأوراق
والأسلاك ويحلق دهرًا في علم الفلك غير أنه
تبقى بينه وبين الحقيقة مسافة فلكية إذ إنه لم يرفع
عينيه مرة في اتجاه السماء.

• تنفي التقارير السماوية التي يصدرها الطير كل
صباح تنفي وبكل وضوح ما تحلم به فلسفات
النهار في غضون اليوم السابق.

• ما الذي يبقى من شكوى العقارب في الساعة
عندما يتمزق التاريخ وهو يعلن ثورته ضد الرتبة

سوى ذلك الضوء الضئيل المتسلل حين يحملنا بين
ثناياه إلى صمت السطوح ورجات صوت الجدة
الملليء بعمق الحمام؟

عبد الهادي السعيد

القصائد

محاورة الكلام

- 9 شمس بها سواد
- 11 ليل في الكلام
- 13 قافية الماء
- 15 بردا وسلاما أيها الفينيقي
- 19 أغنية البحر

الأفول

- 25 الأفول
- 31 ثنائة العراء
- 35 دليل الجلاء

حشرجات الزمن الشديد

- 41 غبش الذاكرة
- 45 حياة الظهيرة

كلام غائم

- 51 تلهفات التامري
- 55 وصايا

- 59 تداعيات يوم مشكول